

مفاهيم القرآن

(88) الباطل. ويقول القرآن الكريم حول السماوات والأرض: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْدَا طَائِعِينَ). (1) وهذا النوع من الكلام وتوجيه الخطاب إلى السماوات والأرض الفاقدة للشعور والإدراك والعقل ليس إلا عن طريق التكوين . . فيكون معنى هذه الآية هو أن " السماء والأرض خاضعتين - تكوينياً - لمشئته اللّهُ وإرادته، وأنّهما تجريان وفق سننه التي شاءها لهما (2). ونقل من بعض بلغاء العرب وخطبائهم مقال من هذا القبيل إذ قال: "سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك، وأينع ثمارك، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً". (3) ولهذا الرأي شاهد قرآني وحديثي: أمّا الشاهد القرآني فهو قوله سبحانه : (فطرة اللّهُ التي فطر الناس) الذي يمكن أن يكون مبيناً لهذه الآية . وغاية التفاوت ما بين الآيتين هي: أن آية (فطرة اللّهُ) تقول بإجمال: أن "الشعور الديني عجن بفطرة البشر وخلقته من دون أن تعين الآية زماناً، في حين أن الآية - المبحوثة هنا - تتحدث عن تحقق هذا السر الإلهي في كيان الإنسان في بدء تكوينه وظهوره، أي أن "الإنسان كان ينطوي فطرياً وتكوينياً على هذا السر الإلهي

1 . فصلت: 11. 2 . سيوافيك حق المقال في الآية في فصل سريان العلم في الموجودات. 3 . مجمع البيان: 4/498 طبع صيدا.